بينَ اللّهجات العربيَّة الجنوبيّة القديمة والعربيَّة الفُصحى

دراسة مقارِنة تحليليَّة

أ. أسماء ياسين رزق*

توطئة

الحَمدُ للهِ الرَّحمنِ، علَّمَ القُرآنَ، خلَقَ الإنْسانَ، علَّمَه البَيانَ. والصَّلاةُ والسَّلامُ على خَيرِ الأنامِ وسيِّدِ فُصَحاءِ ولَدِ عدنانَ. أمّا بعدُ:

فإنّ دراسة اللّهجات تشغلِ حيّزاً واسعاً في لغتنا العربيّة وتزداد أهمّيتها إذا ما عرّفتنا الجذورَ الأولى لهذه اللّغة وأطوار نشأتِها واللّغات الّتي تشاركها الأصولَ اللّغويّة نفسهَا.

وقد أطلقَ العلماءُ مُصطلحَ (الأفروآسيويَّة) على مجموعةٍ مِن اللُّغات في جنوب آسيا وغربِها، وشمالِ إفريقيا وشرقها(1)، ومنها لغاتُ المشرقِ القديم، التي أطلق عليها العالِمُ الألمانيّ شَلوتسر مصطلحَ اللُّغات السَّاميّة، وتابعهَ في ذلك عددٌ مِن الباحثين(2).

ويعني تصنيفُها في أسرةٍ لُغويَّةٍ واحدةٍ اشتراكَ هذه اللُّغاتِ في خصائصَ

---

* سوريا، جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانيَّة.

1- حجازي، محمود فهمي، علم اللغة العربية، وكالة المطبوعات، الكويت، 131.

2- طليمات، غازي، في علم اللغة، دار طلاس 1997، 66.

بنيويَّةٍ بصفتها ترجع إلى أصل واحد تفرَّعت عنه، وهي تقسم إلى ثلاثِ زُمَرٍ[3]:

1. زمرةُ اللُّغاتِ المندثرةِ كالكنعانيَّة القديمة.
2. زمرةُ اللُّغاتِ ذواتِ النُّصوصِ المكتوبة كالسبئيَّة.
3. زمرةُ اللُّغاتِ الحيَّة المُزدهرةِ كالعربيَّة والعبريَّة.

أمَّا مِن الوجهة الجغرافيَّة فهي تُقسَم إلى ثلاث مناطقَ[4]:

1. شرقيَّة: وفيها اللُّغة البابليَّة والآشوريَّة.
2. غربيَّة: تشتمل على الكنعانيَّة والعبريَّة والآراميَّة.
3. جنوبيَّة: وفيها اللَّهجاتُ العربيَّة في جميعِ بلدانِ الجزيرة العربيَّة، واللَّهجاتُ الحبشيَّة.

إلَّا أنَّ التقسيمَ الجغرافيَّ ليسَ واضحَ المعالمِ؛ إذ إنَّ «الوحداتِ اللهجيَّةَ لم تكنْ ثابتةً في أماكنها، وإنَّما كانتْ متنقِّلةً قلِقَةً، ممَّا يزيد صعوبةَ تطبيقِ الفصلِ الجغرافيِّ في دراسةِ اللَّهَجاتِ بينَ شرقِ الجزيرةِ وغربِها»[5].

وأهمُّ اللَّهجاتِ الجنوبيَّةِ التي كان لها دورٌ في التَّاريخ[6]: السَّبئيَّةُ والمعينيَّةُ والقَتَبَانيَّةُ والحِمْيَريَّةُ وغيرُها، وهي موضوعُ بحثِنا، ويعود تاريخُها إجمالاً إلى القرنِ الرَّابعِ والعشرينَ قبلَ الميلادِ تقريباً[7].

ولا يكادُ الباحثُ يستوفي مادَّةَ بحثِه إلَّا بشِقِّ الأنفُس، نظراً لقلَّةِ المصادر واعتمادِها الرئيس على النُّصوصِ الحجريَّة، ولا ضيرَ في تحمُّلِ تلكَ المشاقِّ ابتغاءَ الوصول إلى معرفةٍ بتلكَ اللُّغاتِ وأصالتِها والعُمقِ التَّاريخيِّ لها، إذ «إنَّ معرفتَنا غيرَ الوفيرةِ باللَّهجاتِ القديمةِ هي السَّببُ إلى حدٍّ بعيدٍ في أنَّ الآراءَ حولَ

3- طليمات، غازي، في علم اللغة، 65.

4- ولفنسون، أ، تاريخ اللغات السامية، دار القلم، بيروت، 1980، 20.

5- الجندي، أحمد علم الدين، اللهجات العربيَّة في التراث، الدار العربيَّة للكتاب، 1983، 712.

6- انظر: حجازي، علم اللغة العربية 184.

7- ديب، فرج الله صالح، اليمن هي الأصل، ط1، 1988، 44.

العلاقاتِ بينَ هذه اللَّهجاتِ والعربيَّة الفُصحى تُعَدُّ مِن قبيلِ الظَّنِّ والتَّخمين»[8].

وقد اختلفَتْ آراءُ الباحثينَ في نشوءِ اللُّغةِ الفُصحى ومعرفةِ جذورها والبعدِ التَّاريخيِّ لها، فرأى (نلينو)، أنَّ العربيَّة الفُصحى تولَّدت مِن إحدى اللَّهجاتِ النَّجديَّة، وتهذَّبتْ في مملكةِ كِنْدةَ وفي أيَّامها، فأصبحت اللُّغةَ الأدبيَّةَ السَّائدة، فشاعت هذه اللَّهجةُ في رأيه في منتَصَف القرن السَّادسِ للميلاد، وخرجت خارجَ نجْدٍ، وعمَّت معظمَ أنحاءِ الجزيرة، ولا سيَّما القسمُ الجَنوبيُّ مِن الحجازِ الذي فيه يثربُ ومكّةُ والطَّائفُ.

وذهبَ هارتمن (Hartmann) وفولرس (Vollers) إلى أنَّ العربيَّةَ الفُصحى هي لهجةُ أعرابِ نجدٍ واليمامةِ، غيرَ أنَّ الشُّعراءَ أدخلوا عليها تغييراتٍ مُتعدِّدةً.

وذهبَ لندبرغ (Landburg) إلى أنَّ الشُّعراءَ هم الذين وضعوا قواعدَ هذه اللَّهجةِ، وعلى قواعدهم سارَ المتأخّرونَ، ومِن شعرهم استُخرِجت القواعدُ، ومِن قصائدهم تلكَ استنبطَ العلماءُ أصولَ النَّحو[9].

وسنستفيضُ بشيءٍ مِن التَّفصيلِ في دراسةِ نُخبةٍ مِن تلكَ اللُّغاتِ المَشرقيَّة القديمة، وهي لهجاتُ عرَبِ جنوبِ شبهِ الجزيرةِ العربيَّة في القرنِ الرَّابعِ والعشرينَ قبلَ الميلادِ، بنمطٍ تحليليٍّ نقديٍّ مقارن لبعضِ الأصواتِ وبعضِ قواعدِ النَّحوِ والصَّرفِ؛ لنعرفَ مدى تشابهِها واختلافِها مع اللُّغَةِ الفصحى، ومدى صحّةِ الفرضيَّات المذكورة.

مصدرُ معرفتِنا بتلك اللّهجات

لقد عثرَ علماءُ أوروبا في القَرنِ الماضي على نقوشٍ قديمةٍ وكتاباتٍ كثيرةٍ في بلادِ اليمنِ، وسمَّوا بعضَها بـ(آثارِ حِمْيَر)، وبعضَها بـ(الكتاباتِ السَّبئيَّةِ) أو

---

[8] انظر: مناقشة هذه الآراء في كتاب: رابين، تشيم، اللهجات العربيَّة القديمة في غرب الجزيرة العربيَّة، ترجمه الدكتور عبد الكريم مجاهد، الأردن، 2002.

[9] انظر مناقشة هذه الآراء في كتاب د. علي، جواد، المفصَّل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط4، دار الساقي، 2001، بيروت، 16/ 263.

(الآثارِ المعينيَّة) نسبةً إلى الأقوام التي تقطن تلكَ البلاد، وهي ترجِعُ إلى القرنِ الخامسِ قبلَ الميلاد تقريباً(10)، وقد كُتِبَت بخطٍّ أبجديٍّ يتكوَّن مِن تسعةٍ وعشرين رمزاً(11)، ويقوم الخطُّ الرَّمزيُّ على أساسِ تدوينِ الصَّوامتِ فقط. لذلك تبقى معرفتُنا بطبيعة الحركات مجرَّدَ افتراض.

ولسْنا بصددِ عرضِ رموزِ الخطِّ المُسنَد؛ ما يعنينا هو مُقابَلةُ المادَّةِ النَّحويَّةِ والصَّرفيَّة في هذه الكتاباتِ على عربيَّتنا الفصحى.

أهمُّ هذه اللهجات

اللَّهجةُ المعينيَّة: سادتْ في جنوب اليمنِ، وموطنُها مملكةُ مَعينَ، وحاضرتُها قَرْنا، ويختلف الباحثون في تقديرِ عمرها، فمنهم مَن يُحدِّد ظهورَها بالقرن الثَّامنِ قبلَ الميلاد، ومنهم مَن يعود بها إلى القرن الرَّابع والعشرين قبلَ الميلاد(12).

وتليها اللَّهجةُ السَّبئيَّة التي طالَ عمرها حتَّى قضى عليها الأحباشُ سنةَ خمسٍ وسبعينَ وثلاثِمئة، ولكنَّهم لم يستطيعوا طمسَ اللُّغة السَّبئيَّة.

ثمَّ تعاقبتِ اللَّهجاتُ اليمنيَّة المتأخِّرة التي عاصرت سبأً، ولم تبلُغ شأوها كالقَتَبانيَّة والحضرميَّة والأوسانيَّة والمهريَّة والجباليَّة(13).

السِّماتُ الأساسيَّةُ لكلِّ لهجة

عُرفت اللَّهجةُ المعينيَّة بلهجةِ السِّينِ، وسُمِّيَت بذلك لكثرةِ ورودِ حرفِ السِّينِ في أوائل الأفعال وضميرِ الغائبِ فيها، ومثال ذلك (سكبر) أي: كُبر.

ومِن ذلك أنَّها تبني فعل (السَّببيَّة) بـ (سَ)، فتقول: (سَفعَل) في معنى

---

(10) انظر: ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، 230.

(11) انظر: حجازي، علم اللغة العربيَّة، 187، و طليمات، في علم اللغة، 80.

(12) انظر: طليمات، في علم اللغة 79.

(13) انظر: موسكاتي، سباتينو، (وآخرون)، مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارن، ترجمة مهدي المخزومي وعبد الجبَّار المطلبي، ط1، 1993، 30.

(أفعَل)(14).

ومِنْ ذلك أنَّ ضمير النَّصب فيها هو السين في مثل قولك: (ضربَهُ)، حيث يقولون: (ضربَسُ)(15).

أمَّا اللَّهجة السبئيَّة فإنَّها عُرفت بلهجةِ الهاءِ، حيثُ استخدمَتِ الهاءَ في تكوينِ عددٍ مِن الصِّيَغ الصَّرفيَّةِ، مثل (أفعل)، حيثُ تصبِح: (هَفْعَل)، مثال: (هَوفى)، في معنى: (أوفى)(16).

فالسَّبئيَّة تبني فعلَ السَّببيَّة كما تبنيهِ العبريَّةُ وغيرَها بـ (هَ). أمَّا ضميرُ النَّصبِ فيها فهو (هُ)، كما في جميع الُّلغاتِ السَّاميَّة.

وكذلك يكثرُ استخدامُ اللَّاحقةِ (هـَ) في الأفعالِ والأسماءِ التي بصيغة الأفعال، مثال:

يصدق ــــــ يهصدق
ينعم ــــــ يهنعم
يأمن ــــــ يهأمن

وهذا شبيهٌ بما هو موجودٌ في اللُّغة الفصحى الحاليَّة من زيادة الهاء بعدَ الهمزة، حيث يُقال في أرقت: (أهْرَقتُ) و(هَرَقتُ)(17).

1. دراسةُ بعض الأصواتِ والتَّصريفِ في العربيَّة الجنوبيَّة القديمة مُقارَنَةً باللُّغة الفُصحى

أ. ظاهرة القلب: تتأثَّرُ تاءُ الافتعالِ بأصوات الصَّفير المفخَّمة أو المجهورة التي

14- ديب، اليمن هي الأصل 45.

15- نولدكه، تيودور، اللغات السامية، 1899، 91.

16- حجازي، علم اللغة العربيَّة 187، وديب، اليمن هي الأصل، 45.

17- انظر: سيبويه، عمرو بن قنبر، الكتاب 285/4.

تبادلت معها الأمكنة فتنقلب طاءً أو دالاً(18)، مثال ذلك:

اضترب______ اضطرب

ازتان _______ ازدان.

وهذا موجودٌ في الفصحى الحاليَّة ومعروف بمصطَلَح (الإبدال)(19).

ب. وتحوَّلُ النُّونِ قبلَ الباءِ إلى ميم:

منبر _______ مِمْبر.

وهذا يُماثِل ما هو موجودٌ في الفُصحى الحاليَّة وفي القرآن الكريم، ومِن أمثلتِه: (أنبتنا)، في قوله تعالى: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبّٗا﴾ [عبس: 27]: (أمبتنا)، ويُسمَّى هذا بالقلب، أو الإقلاب(20).

ج. وتتحوَّلُ السِّينُ قبل الرَّاء إلى صادٍ مجهورةٍ قريبةٍ مِن الزَّاي، مثال:

سِراط _____ زراط (مع تفخيم الزاي)(21).

وهذا الأمر نفسُه موجودٌ في اللُّغة الفصحى وفي بعض قراءاتِ القرآن الكريم؛ ففي قراءة أحدِ القرَّاء(22) تُقرأ الصَّادُ بإشمامها زاياً.

د. ظاهرة الإدغام: اللغاتِ العروبيَّةَ كلَّها تميلُ إلى إدغامِ النُّون فيما يليها مِن الأصوات الصَّامتة مباشرةً، وفي العربيَّة الجنوبيَّة لا يوجَد إدغامٌ إلَّا في الأدوات (أنْ، إنْ، عن، مِن)، مثال ذلك:

عن لا ____ علَّا.

18- بروكلمان، كارول، فقه اللغات السامية، ترجمة رمضان عبد التواب، جامعة عين شمس، 1977، 60.

19- انظر: الغلاييني، مصطفى، جامع الدروس العربيَّة، طهران، 1912، 2/123.

20- انظر: سيبويه، الكتاب 4/ 453، و ابن الجزري، محمد بن محمد، النَّشر في القراءات العشر، أشرف عليه علي محمد الضباع، دار الكتب العلميَّة، بيروت، 2/26.

21- بروكلمان، فقه اللغات السامية 58.

22- هي قراءة خَلَف عن حمزة، أحد القرَّاء بالقراءات العشر المتواترة، انظر ابن الجزري، النشر في القراءات العشر 1/271.

كما تُدغَم النُّونُ في بعض الكلمات مثل:
بنت ____ بِتّ(23).

وظاهرةُ الإدغامِ معروفةٌ في الفصحى الحاليَّةِ، حيث تُدغَم النُّونُ فيما يليها مِن أحدِ الحروفِ التَّالية: (الياء والراء والميم واللام والواو النون).

ويُقسَم هذا الإدغام إلى نوعَين: إدغام بغنَّة، وإدغام بلا غنَّة، فتقول: مَن رَّأيت؟ مَن وَّجد؟ مَن لَّك(24)؟

وكذلك تُدغَم لامُ التَّعريفِ فيما يليها مِن أصواتِ الصَّفيرِ والأسنان، والأصواتِ المائعة(25)، (وهي اللام والرَّاء والنُّون)، مثال: الرَّجُل، الشَّمس.

وهذا معروفٌ أيضاً في عربيَّة الشَّمال المعروفةِ اليومَ، وتُعرَف هذه اللَّام باللَّام الشَّمسيَّة، وهي التي يليها أحدُ الحروفِ التَّالية: (الطَّاء والثاء والصاد والرَّاء والتَّاء والضَّاد والذَّال والنُّون والدَّال والسين والظاء والزَّاي والشين واللَّام)، فتُدغَم اللَّام فيما يليها مِن هذه الحُروف(26).

الإعلال بالقلب

مِن فنونِ القلب في تلك اللهجات أن تُقلَب الواو ألفاً في الماضي الأجوَف، مثال: كون ____ كان، شوف ____ شاف(27).

كما تُقلَب في النَّاقص الواو ياءً، مثل: رضِوَ ____ رضيَ.

وهذا الأمر نفسُه في العربيَّة الحاليَّة ومعروف باسم الإعلال بالقلب(28).

23- بروكلمان، فقه اللغات السامية 61.

24- انظر: سيبويه، الكتاب 452/4، 453، وابن الجزري، النَّشر 27/2.

25- بروكلمان، فقه اللغات السامية 62.

26- انظر: سيبويه، الكتاب 4/ 357.

27- انظر: ديب، اليمن هي الأصل 46.

28- انظر: عبد الله، إبراهيم محمَّد، مباحث في علم الصرف، ط2، دار سعد الدين، دمشق، 2004، 187.

2. دراسة بعض القواعد النَّحويّة في تلك اللهجات

1. قواعد الاسم

أ. الضَّمائر

أوَّلاً: الضَّمائر المنفصلة

1. ضمائر المتكلِّم: أنا، نحنُ (كما هو الشَّأن في العربيَّة الشماليَّة المعروفة).
2. ضمائر المخاطَب: (أنتَ، أنتِ، أنتم، أنتنَّ).

لاحظنا هنا تطابقَ هذه الضَّمائر مع المعروف في العربيَّة الحاليَّة، إلَّا أنَّها خلَت مِن ضمير المخاطَبَين في حالة المثَّنى: (أنتما).

3. ضمائر الغائب: (هوَ، هيَ، هُم، هنَّ)، هذا في اللهجة السَّبئيَّة(29)، أمَّا في اللهجات الأخرى فتُستَعمل الشين بدلاً من الهاء على النَّحو التالي(30):

هُوَ ___ شُو
هِيَ ___ شِيت
هُمْ ___ شُمْ
هُنَّ ___ شْمايْت.

أمَّا في لهجة السِّين فضمائر الغائب كالتالي(31):

هُوَ ___ سُو
هِيَ ___ سْمِي
هُم ___ سُمو

ثانياً: الضَّمائر المتَّصلة

تستعمل العربيَّة الجنوبيَّة ضمير الجر مع الاسم والنَّصب مع الفعل:

29- انظر: بروكلمان، فقه اللغات السامية 85.

30- انظر: موسكاتي، مدخل إلى نحو اللغات السامية المقارَن 176.

31- انظر: ديب، اليمن هي الأصل 45.

أ. مع المتكلِّم: تضيف إلى الفعل اللاحقة (ني): ضربَني، ضَرَبَنا.

وهذا الشَّأن في العربيَّة الحاليَّة، حيث تُضاف النُّون المكسورة قبل ياء المتكلِّم المتَّصلة بالفعل، أو بالحرف المشبَّه بالفعل، وتسمَّى (نونَ الوقاية)، نحو: أكرَمَني، ليتَني(32).

ب. مع المُخاطَب: المفرَد المذكَّر: ضربَكَ.

المفردة المؤنَّثة: ضربكِ.

الجمع المذكَّر: ضربَكُم.

الجمع المؤنَّث: ضربَكُنَّ.

المثَّى: .... (لا يوجد في الجنوبيَّة القديمة ضمير يُستَعمل لمخاطبة المثَّى، بخلاف عربيَّة الشَّمال الحاليَّة -ضَرَبكما-).

ج. مع الغائب:

المفرَد المذكَّر: ضربَه.

المفردة المؤنَّثة: ضَرَبَهَا.

الجمع المذكَّر: ضَرَبَهُم.

الجمع المؤنَّث: ضربهُنَّ.

المثَّى: ... (لا يوجَد في الجنوبيَّة القديمة ضمير للغائب المثَّى -ضربهما-).

ضمائر الغائب المذكورة هذه في السَّبَئيَّة، أمَّا بالنِّسبة للمعينيَّة والقَتَبانيَّة فيختَلِف الأمر، حيث تُبدَل الهاء سيناً في المعينيَّة (ضَرَبَسُو)، وشيناً في القتبانيَّة (ضَرَبَشُو)(33).

ب. أسماء الإشارة

سأذكر كلَّ اسم منها بالفصحى الحاليَّة، ثمَّ أذكر ما يُقابله في العربيَّة الجنوبيَّة القديمة:

32- انظر: المرادي، الحسن بن القاسم، الجنى الدّاني في حروف المعاني، تحقيق فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، ط1، دار الكتب العلمية بيروت،، 150.

33- انظر: موسكاتي، مدخل إلى نحو اللغات السامية 184.

هذا ___ ذَانْ
هذه: ____ ذَاتْ
ذلك: ____ هُوَ
تلك: ____هِيَ
هذان: ...... (لا يوجَد ما يُقابلها)
هاتان: ...... (لا يوجَد ما يُقابلها)
هؤلاء (للمذكَّر) ____ أُولايْ
هؤلاء (للمؤنَّث):____ إلْتْ.

ممَّا سبق نَلحظ التَّالي:

1. نلحظ أنَّ الجنوبيَّة القديمة استغنت عن (ها) في بداية اسم الإشارة، وهذا الأمر جائز أيضاً في العربيَّة الشماليَّة، فاسم الإشارة هو (ذا)، أمَّا (ها) فإنَّما هي لمجرَّد التنبيه(34).
2. إضافة النون إلى (هذا)، وهذا لا نظير له في الشَّماليَّة.
3. إضافة تاء التأنيث في (هذه) التي تحوَّلت في الفصحى الحاليَّة إلى (ذِهِ).
4. عدم وجود اسمَين للإشارة إلى المثنَّى المذكَّر ولا المؤنَّث، إذ إنَّ السبئيَّة استعاضت عن ذلك بالجمع(35).
5. أنَّها ميَّزت بين اسم الإشارة الدَّالّ على جماعة الذُّكور واسم الإشارة الدالّ على جماعة الإناث بخلاف الفصحى الحاليَّة التي توحِّد الاسم الدالَّ عليهما: (هؤلاء).
6. أنَّها خلَطت بين ضَّمير الغائب المنفصل (هو)، واسم الإشارة (ذلك) فأشارت بـ (هو) إلى المذكَّر البعيد بدلَ (ذلك).

ج. الأسماء الموصولة

الأسماء الموصولة أصلها في كل اللُّغات السَّاميَّة أسماء إشارة(36)، وهذا لا

34- انظر: الغلاييني، جامع الدروس العربيَّة 127/1.

35- انظر: بروكلمان، فقه اللغات السامية 95.

36- انظر: بروكلمان، فقه اللغات السامية 85، وموسكاتي، مدخَل إلى نحو اللغات السامية 190.

يزال في بعض اللَّهجات الفصحى الحديثة، ففي لهجة طيِّئ يستعملون (ذو) بدل (الذي)، و(ذات) بدل (التي)، قال الشَّاعر⁽³⁷⁾:

فإنَّ الماءَ ماءُ أبي وجدِّي   وبئري ذو حفرتُ وذو طوَيتُ

موضع الشَّاهد في البيت: (ذو حفرتُ وذو طويتُ)، حيثُ استعمل (ذو) اسماً موصولاً، بمعنى: الذي حفرتُ والذي طويتُ.

وسأذكر الأسماء الموصولة المعروفة ثمَّ ما يُقابلها في العربيَّة القديمة:

الذي____ ذا

التي____ ذات

الذين______ذو، ذُم

اللواتي، اللائي____ذاتُم، أولو⁽³⁸⁾.

ممَّا سبق نلحظ التَّالي:

1. نلحظُ أنَّ أداةَ الجمع الموصولة (أولو) لا تُستَعمَل في الشماليَّة على أنَّها اسمٌ موصولٌ بل ملحقٌ بجمع المذكَّر السالم⁽³⁹⁾.
2. نلحظ عدمَ وجود اسمٍ موصول للمثَّى كالذي عندنا اليوم (اللَّذان، اللَّتان).

د. أسماء الاستفهام

نشأت أسماء الاستفهام مِن أدوات التَّنبيه التي تطوَّرت داخلَ كلِّ لغة كما يرى الباحثون⁽⁴⁰⁾، وتُستَخدَم في عربيَّة الجنوب ثلاثُ أدواتٍ للاستفهام هي: (مَن، ما، أيّ).

في حينِ أنَّ عربيَّةَ الشَّمالِ الحاليَّةَ لديها أحدَ عشَرَ اسماً لكلٍّ منها استخدام:

37- انظر البيت في الأزهري، أبي منصور محمد بن أحمد، تهذيب اللغة،، تحقيق عبد السلام هارون، دار القوميَّة العربيَّة للطباعة، مصر، 1964، (ذو)، وابن هشام، عبد الله بن هشام الأنصاري، أوضح المسالك، تحقيق، محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، 1979. 154/1والشاهد في البيت استعمال (ذو) بمعنى (الذي) على لهجة طيِّء.

38- انظر: ديب، اليمن هي الأصل 46.

39- انظر: الغلاييني، جامع الدروس العربيَّة 16/2

40- انظر: بروكلمان، فقه اللغات السامية 84.

(مَن، مَن ذا، ما، ماذا، متى، أيَّان، أيّ، أنَّى، كَيف، كم، أين).

هـ. حالات إعراب الاسم في العربيَّة الجنوبيَّة

لِلاسم فِي العربيَّة الجنوبيَّة ثلاثُ حالات: الرَّفع والجر والنَّصب، كما هو الحال في العربيَّة الشَّماليَّة.

و. التَّعريف والتنكير

رمزُ التَّنكير في العربيَّة الجنوبيَّة القديمة هو النِّهاية (م)، وتُسمَّى التَّميم التي يُرجَّح أنَّها مركَّبة مِن (ما) التي بمعنى: شيء ما، التي لا تزال مستعملة في العربيَّة الشماليَّة(41).

ويُقابِل التَّميمَ التنوينُ في العربيَّة الحاليَّة، فيُقال في الجنوبيَّة: أسَدُم، أي: أسدٌ.

أمَّا أداة التَّعريف في السَّبئيَّة فتتَّخذ أشكالاً هي:

- النُّون التي تلحَق آخر الاسم، ولها وظيفتان: أداة إشارة، و أداة تعريف(42).
- الألف واللام، كما هو المعتاد في العربيَّة الشَّماليَّة(43).
- الميم: فقد تكون (ام) أداة تعريف، كقولهم: ذو محجتين ______ ذو الحجَّة.

ولا يزال (ام) مستعملاً في كثيرٍ مِن مناطق اليمن، وعلى وجه الخصوص في (حاشد) و(أرحب) وبعض خولانَ وهمدان، وأكثر ما يُنسَب إلى حِميَر(44)، وقد جاء بها حديث النَّبيِّ ﷺ، في بعض الرِّوايات، فقد قال(45): (ليس من امْبرِّ امْصومُ في امْسفر)، حيث أبدل لام التعريف ميماً.

41- انظر: بروكلمان، فقه اللغات السامية 103.

42- المرجع السابق.

43- ديب، اليمن هي الأصل 46.

44- انظر: بوبو، مسعود، فقه اللغة العربيَّة، جامعة دمشق، 30.

45- الحديث في ابن الأثير الجزري، المبارك بن محمد، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، ط1، مكتبة الحلواني، وغيرها، 1969، 396، برقم (4581)

وجاء على هذه اللهجة أيضاً قول الشَّاعر(46):

ذاكَ خليلـــــي وذَو يعـــــاتبَني يرمـــي ورائـــي بامْســـهم وامســـلِمة

أراد: بالسَّهم والسَّلِمة، والسَّلِمة الحجارة.

ز. التَّذكير والتَّأنيث

تميِّز هذه اللَّهجات بين جنسَين كسائر اللُّغات العروبيَّة، وليس للمذكَّر نهايةٌ خاصَّة، أمَّا المؤنَّث فيُختَم بالتَّاء، أو باللَّاحقة (أَتْ)، أو (آتْ)، مثال:

ملكت ــــ ملكة.

ولكن نلحظ خلافاً مع العربيَّة الشَّماليَّة في أنَّه يُختَم بتاء مبسوطة بخلاف عربيَّة الشَّمال التي تكتبه بتاء مربوطة وتُسمَّى (هاء التَّأنيث).

إلَّا أنَّ لهذه اللهجة آثاراً في عربيَّة الشَّمال اليوم حيث كُتِبَت في القُرآن الكريم بعض الكلمات المفردة المؤنَّثة بتاء مبسوطة، نحو قول الله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: 56].

كما أنَّ هناك اتِّفاقاً في التَّأنيث باللَّاحقة (اء)، وتُسمَّى في عربيَّة الشَّمال بألف التَّأنيث الممدودة(47).

ح. الجموع

1. الجمع السَّالم

يوجد في عربيَّة الجنوب علامتان للجمع: (الواو والياء).

كما توجَد اللَّاحقة (ي) ممدودةً، وهي شائعة للدلالة على التَّأنيث(48).

علامة رفع المذكَّر السَّالم والملحق به الواوُ، وعلامة نصبه وجرِّه الياء، مثال:

46- هو بُجير بن عثَمة الطَّائي أحد بني بولان، انظر الأزهري، تهذيب اللغة (سلم)، وابن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، (أمم) و(سلم)، و(ذو)، والمرادي، الجنى الدَّاني 140، وابن هشام، مغني اللبيب 48.

47- انظر: الغلاييني، جامع الدروس العربيَّة 105/1.

48- انظر: بروكلمان، فقه اللغات السامية 155.

بَنُو، بَنِي.

وهناك علامة أخرى في حالة جمع المذكَّر -كما هو معروف الآن- هي (الواو والنُّون)، مثال: فلَّاحون.

2. جمع التَّكسير

إنَّ ظاهرةَ جمع التَّكسير ظاهرة تفرَّدت بها لغات الفرع الجنوبي مِن لغات المشرق العربي(49).

ولِجمع التَّكسيرِ أوزانٌ في عربيَّة الجنوب القديمة: أفعُل: أملُك، أرهُط(50)، فُعُل: صُحُف (جمع صُحْفة)(51)، فُعول: خُروف (جمع خريف)(52).

هذه الأوزان تتشابه مع العربيَّة المعروفة اليوم، إلَّا أنَّها هناك تأخذ تفصيلات أدقَّ وأشمل، فتُقسَم إلى جموع قلَّة وجموع كثرة(53).

ط. المثنَّى

قامَ المثنَّى في اللُّغات المشرقيَّة أصلاً للدلالة على الأزواج الطبيعيَّة كأعضاء الجسم، غيرَ أنَّه فيما بعد أصبح يعبِّر عن التَّثنية المُطلَقة(54).

ولِلعربيَّة الجنوبيَّة علامتا تثنية: الألف والنون، والياء والنون، مثال: أذنان، وأذنَين.

ولكنَّ هاتين العلامَتَين تُستعملان بلا تمييز فيما يتَّصلُ بالحالات الإعرابيَّة، بخلاف الحال في العربيَّة الشَّماليَّة، حيث اصطُلِح على استخدام الألف والنون في حالة الرَّفع، والياء والنُّون في حالتَي النَّصب والجرّ.

49- انظر: حجازي، علم اللغة العربية 183، وموسكاتي، مدخَل إلى نحو اللغات السامية المقارن، 151.

50- انظر: ديب، اليمن هي الأصل 45.

51- انظر: موسكاتي، مدخل إلى نحو اللغات السامية 151.

52- انظر المرجع السّابق.

53- انظر: الغلاييني، جامع الدروس العربيَّة 29/2، 33.

54- انظر: بروكلمان، فقه اللغات السامية 95.

ي. الأدوات والحروف

1. أداة النفـي: تسـتخدم السـبئيّة (ء ل)، بمعنـى (لا) النافيـة[55]، أمـا في الشـماليّة فهناك حروف نفي أُخرى أيضاً: (لم، لن، ما).
2. حرف الشرط: في السبئيّة (ه م)، وفي الجباليّـة (ه ر)[56]، نلحـظ أنهـم استبدلوا فيما بعدُ الهاءَ همزةً والميم نوناً فصارت (إنْ).
3. أدوات الـربط (العطـف): في السـبئيّة: (الـواو، الفـاء، أو، إنْ، كـي)[57]، أمـا في الجباليّة فالباء تَفِي بذلك كلّه، وهذا يتّصل بما ذكره ابنُ جنّي مِن أنّ هناك علاقةً بين الباء والواو، وأنَّ الباء هي الأصل[58].
4. أحرف الجر[59]: وهي: على، إلى، مِن (وتُقال: بِن)، بِ، لِ، مع، كَ.

نلحظ أنَّها حروف الجرِّ نفسُها التي في الفصحى إلّا أنّ (مع) في العربيّة الفصحى ليست من حروف الجر بل: ظرفُ زمانٍ أو مكانٍ، وما بعدها مضاف إليه.

وهناك في اللَّهجاتِ اليمنيّة تبادُلٌ في مواقعِ حروف الجرّ، حيثُ نجد الباء تأتي بمعنى (في)، مثال: بمريب: أي: في مأرب.

واللام بمعنى (إلى): لصنعاء: أي إلى صنعاء.

والكاف في معنى (لمّا): كوصلوا نبطم، أي: لمّا وصل نبط[60].

أمَّا في العربيّة الشماليّة الحاليَّة فحدّث ولا حرجَ عن هذه الظاهرة التي

55- انظر: مريخ، عادل مسعود، العربية القديمة ولهجاتها، أبو ظبي 2000، 125.

56- انظر: المرجع السابق 126.

57- انظر: موسكاتي، مدخل إلى نحو اللغات السامية 207.

58- حيث يكون القَسَم بالباء وبالواو (بالله و والله)، فإذا دخلتا على ضميرٍ فالباء وحدها المستَعمَلة، تقول: بك اللهمّ، أي اقسم بك، انظر كتاب ابن جني، أبي الفتح عثمان، سر صناعة الإعراب، تحقيق د. حسن الهنداوي، ط2، دار القلم، دمشق، 1993، 143.

59- انظر: بروكلمان، فقه اللغات السامية 95.

60- ديب، اليمن هي الأصل/46.

تتبادل فيها حروف الجر(61)، ومِنْ ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ﴾ [طه: 71]، قالوا: (في) هنا بمعنى (على)(62).

ومنه قوله تعالى: ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾ [إبراهيم: 9] بمعنى: بأفواههم(63).

وهو ما يُسمِّيه النُّحاة الكوفيُّون بالتَّضمن.

2. قواعد الفعل

أوَّلاً: أبنية الفعل

1. الوزن الأصلي: هو المجرَّد الثلاثي في العربيَّة، ووزنه (فَعَلَ)، مثاله: فَقَدَ(64).
2. الوزن الثَّاني: ينتج بتكرير عين الفعل، وهو يدلُّ على الشدَّة والتَّكرير، مثال: كسَّر، وغالباً ما يدلُّ على السَّببيَّة أيضاً، مثال: نجَّح الأستاذ الطَّالبَ، (أي تسبَّب في إنجاحه).

وهذا يوافق ما في الفصحى الحاليَّة، حيث يُستَخدَم الوزن (فعَّل) للتَّكثير، أو للتَّعدية(65).

3. وهناك وزن آخر للسببية، وهو (أفعل)، الذي تبنيه السبئيَّة بالهاء، والمعينيَّة بالسِّين، وقد أوفينا الحديث عنه عند الحديث عن السِّمات الأساسيَّة لكلِّ لهجة في بدايات البحث.

ويقابله في الفصحى ما يُسمَّى بـ(همزة التَّعدية)، مثال ذلك: أماته اللهُ.

61- انظر: ابن هشام، مغني اللبيب عن كتب الأعاريب 516/95، 791.

62- انظر: الفرَّاء، يحيى بن زكريا، معاني القرآن، ط3، عالم الكتب، بيروت، 1983، 186/2، وكتاب أبي عبيدة، معمَر بن المثَّنى، مجاز القرآن، تحقيق، محمد فؤاد سزكين، ط2، مؤسسة الرسالة، 1981، 23/2.

63- انظر: الفراء، معاني الفرّاء 70/2، وكتاب أبي حيَّان، محمد بن يوسف، التفسير الكبير المسمَّى بـ(البحر المحيط)، مكتبة النصر، الرياض، 398/5.

64- انظر: بروكلمان، فقه اللغات السامية، 95.

65- انظر: الغلاييني، جامع الدروس العربيَّة 224/1.

4. وتبني السَّاميَّة الجنوبيَّة وزناً آخر يُسمَّى (وزن الهدف) (zielstamm)(66)، وذلك بمدِّ حركة فاء الفعل، مثال: قاتَلَ.

وفي العربيَّة الشَّماليَّة يُستَخدَم هذا الوزن (فاعَل) للمشاركة، إذا كانَ بينَ اثنين(67).

ثانياً: أزمنة الفعل

الفعل في الجنوبيَّة القديمة نوعان فحسب:

أحدهما: يُبنى بزيادة مقاطع في الأوَّل على صيغة الأمر، ويُسمَّى في الفصحى الحاليَّة بـ(المضارع).

وثانيهما: يُبنى بزيادة مقاطع في النِّهاية، وهو ما يُسمَّى عندنا بـ(الماضي).

ونحن لا نعرف اللُّغة السَّبئيَّة إلَّا معرفةً ناقصة مِن الخطِّ الذي يقتصد اقتصاداً كبيراً في الحركات، ولا يكاد يُظهر الظواهر النَّحويَّة المعتادة.

وهكذا نجد أنَّه لا يوجَد حتَّى الآن أيُّ صِيغٍ مستقلَّةٍ لِلمتكلِّم والمخاطَب، مع أنَّ صيغ الفعل تشمَل المتكلِّمَ والمخاطَب والغائبَ، ولكنَّهم في النُّقوش لم يستعملوا إلَّا صيغةَ الغائب(68).

أمَّا فعلُ الأمرِ فتُستَخدَمُ فيه الصِّيغةُ الخاليةُ مِن النِّهايات لِلمخاطَب المفرَد المذكَّر، وتنتهي المفردة المخاطَبة بالنِّهاية (ي)، وجمع المذكَّر بالنِّهاية (و)، والمؤنَّث بالنِّهاية (ا).

مثال: اضرب، اضرِبي، اضرِبوا، اضرِبْنَ.

ملاحظة: يُكسَر الحرف الأوَّل من المضارع، بدلاً من الفتحة بسبب ما يُسمَّى بـ(التَّحويل الحركيّ) (ablaut)(69)، مثال: يَشرَبُ____ تُصير: يِشرَبُ.

66- انظر: بروكلمان، فقه اللغات السامية 95.

67- انظر: الغلاييني، جامع الدروس العربيَّة 224/1.

68- ولفنسون، تاريخ اللغات السامية، 20.

69- انظر: بروكلمان، فقه اللغات السامية 100.

غيرَ أنَّ الفتحة قد عادت إلى الظُّهور مُطلَقاً في العربيَّة الشَّماليَّة، ولا تكاد الكسرة تظهَر إلَّا في اللَّهجات، وتنسَب لهجةُ كسرِ حرفِ المضارَعة إلى تميمَ وبهراءَ وأسد وربيعة وعقيل، وتُسمَّى (التَّلتَلة)(70)، وجَاءت بها بعضُ قراءات القرآن الكريم: (وإيَّاك نِستَعين)(71)

ولا تزال في العربيَّة الجنوبيَّة قواعدُ وفروعٌ وتفصيلاتٌ، ومجالاتٌ نحويَّةٌ، وأخرى معجميَّةٌ لا يتَّسع لها مثلُ هذا البحث الموجز، وما هذا الذي بين أيدينا إلَّا غيضٌ مِن فيضٍ.

نتائج البحث

توصَّل البحث إلى النَّتائج الآتية:

1. جميع اللُّغات السَّاميَّة أو الأفروآسيويَّة تجمعها أصول لغويَّة مشتركة.
2. اختلف الباحثون حول نشوء اللغة العربيَّة الفصحى ومعرفة جذورها والبعد التَّاريخي لها.
3. اللَّهجات العربيَّة الجنوبيَّة القديمة كان لها دور كبير في التَّاريخ، وهي تُشارك العربيَّة الفصحى المعروفة في كثير من الأصول.
4. كانت اللهجة المعينيَّة واللهجة السَّبئيَّة من أهمِّ اللَّهجات الجنوبيَّة القديمة.
5. هناك الكثير من السِّمات والخصائص المشتركة بين اللغة العربيَّة الفصحى واللَّهجات العربيَّة الجنوبيَّة القديمة من الجوانب الصَّوتيَّة والصَّرفيَّة والنَّحويَّة.

70- انظر: سيبويه، الكتاب 110/4، والجندي، اللهجات العربيَّة في التُّراث 388.

71- سورة الفاتحة [4/1]، وهذه قراءة المطَّوعي بكسر نون المضارعة، وذلك في كلِّ فعل مضارع مبدوء بنون أو تاء مفتوحتين، انظر: النَّحَّاس، أبا جعفر أحمد بن محمد، إعراب القرآن، تحقيق د. زهير غازي زاهد، ط2، عالم الكتب، بيروت، 2008، 95، و ابن خالويه، الحسين بن أحمد، القراءات الشَّاذَّة، تحقيق محمد عيد الشعباني، ط1، دار الصحابة للتراث، طنطا، 2008، 1، والزَّمخشري، محمود بن عمرو، الكشاف عن حقائق التنزيل، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي معوَّض، ط1، مكتبة العبيكان، 1998، 226/1، وأبا حيَّان، تفسير البحر المحيط 23/1، والقرطبي، محمد بن أحمد، الجامع لأحكام القرآن الكريم، تحقيق د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، ط1، مؤسسة الرسالة، 2006، 266/1.

6. هذا التَّشابه الكبير لا يعني التَّطابق؛ إذ إنَّ هناك اختلافاً بين اللغة الفصحى وهذه اللَّهجات من جوانب أخرى، منها: إهمال هذه اللَّهجات لاستعمال صيغة المثَّنى في الضَّمير وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة.

خاتمة البحث

إنَّ التَّشابه الكبير بينَ الفصحى واللَّهجات الجنوبيَّة القديمة يُثبِت إلى حدٍّ ما تأصيلَ تلك اللهجات لكثيرٍ مِن قواعد لغتنا، وارتباطها الوثيق بها، فالفصحى الحاليَّة لم تولَد من فراغ، بل هي خلاصة تمازُج لهجاتٍ قديمةٍ عِدَّة، تُغذّيها وتترامى إليها أطرافُها، ذلك أنَّ اللُّغة -كما هو معلوم- كائن حيٌّ يؤثِّر ويتأثَّر، وكلُّ كلمة في اللُّغة أو قاعدة نحويَّة أو صرفيَّة لابدَّ أنَّ لها تاريخاً طويلاً مِن التَّطوُّر عبرَ الزَّمن، فما الحُلَّة البهيَّة المتكاملة المُحكَمة التي تتراءى بها لغتنا اليوم إلَّا مِن جرَّاء تراكمات أتت عبرَ مرِّ الحِقَب والقرون، ولذلك كان لِزاماً على الدَّارسين أنْ يُولُوا تلك اللهجات اهتماماً ويُصيخوا إليها سمعاً؛ لِيعرِفوا أصل لغتهم وتاريخها وعمقَها الحضاريَّ المتجذِّر.

والحمد لله ربِّ العالمين

ثَبْت المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

1. الأصول في النَّحو، لأبي بكر بن السَّرَّاج، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرِّسالة.
2. أوضح المسالك إلى ألفيَّة ابن مالك، لابن هشام الأنصاري، تحقيق:، محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، 1979.
3. إعراب القرآن لأبي جعفر النَّحَّاس، تحقيق: د. غازي زهير زاهد، عالم الكتب، ط2، 2008
4. تاج العروس من جواهر القاموس، للمرتضى الزُّبيدي، تحقيق: علي هلالي، مطبعة حكومة الكويت، ط2، 1987.
5. تاريخ اللغات السَّاميَّة، أ. ولفنسون، دار القلم، بيروت، 1980.
6. التفسير الكبير المسمَّى بالبحر المحيط، لأبي حيَّان الأندلسي، مكتبة النصر الحديثة، الرياض.
7. تهذيب اللغة لأبي منصور محمّد بن أحمد الأزهري، تحقيق: عبد السلام هارون، دار القوميَّة العربيَّة للطباعة، مصر، 1964م.
8. جامع الأصول في أحاديث الرسول، لابن الأثير الجزري، المبارك بن محمد، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة الحلواني، وغيرها، ط1، 1969.
9. جامع الدُّروس العربيَّة، تأليف: الشَّيخ مصطفى الغلاييني، طهران، 1912.
10. الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله القرطبي، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، ط1، 2006.
11. الجنى الداني في حروف المعاني، للحسن بن قاسم المرادي، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، ومحمَّد نديم فاضل، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ط1، 1992
12. السَّاميُّون ولغاتهم، تأليف: حسن ظاظا، الدار الشَّاميَّة، ط2، 1990.
13. سر صناعة الإعراب، لأبي الفتح عثمان بن جنِّي، تحقيق: د. حسن الهنداوي، دار القلم دمشق، ط2، 1993.
14. العربيَّة القديمة ولهجاتها، تأليف: عادل مسعود مريخ، أبو ظبي، 2000.

15. علم اللغة العربيَّة، محمود فهمي حجازي، وكالة المطبوعات، الكويت.
16. فقه اللغات السّامية، كارل بروكلمان، ترجمة رمضان عبد التَّوَّاب، جامعة عين شمس، 1977.
17. فقه اللغة العربيَّة، للدَّكتور مسعود بوبو، ط2، 2003، منشورات جامعة دمشق.
18. في علم اللغة، غازي طليمات، دار طلاس، 1988.
19. القراءات الشَّاذَّة، لابن خالويه، تحقيق: محمَّد عيد الشعباني، دار الصحابة للتراث بطنطا، ط1، 2008
20. الكتاب، لسيبويه، عمرو بن عثمان بن قَنبر، تحقيق: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط4، 2004.
21. الكشَّاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل، للزمخشري، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي معوَّض، مكتبة العبيكان، ط1، 1998.
22. لسان العرب لابن منظور، دار المعارف، القاهرة.
23. اللغات السامية، تيودور نولدكه، 1899.
24. اللهجات العربيَّة في التراث، لأحمد علم الدين الجندي، الدار العربيَّة للكتاب 1983.
25. اللهجات العربيَّة القديمة في غرب الجزيرة العربيَّة، تشيم رابين، ترجمه الدكتور عبد الكريم مجاهد، الأردن، 2002
26. مباحث في علم الصَّرف، للدَّكتور إبراهيم عبد الله، دار سعد الدين، دمشق، 2004.
27. مجاز القرآن، لأبي عبيدة معمر بن المثَّى، تحقيق: محمَّد فؤاد سزكين، ط2، 1981
28. مدخل إلى نحو نولدكه، اللغات السامية المقارَن، سباتينو موسكاتي وآخرون، ترجمة مهدي المخزومي، وعبد الجبار المطلبي، ط1، 1993.
29. معاني القرآن، ليحيى بن زياد الفرَّاء، عالم الكتب، بيروت، ط3، 1083
30. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، لابن هشام الأنصاري، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، دار إحياء التراث العربي.

31. النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، صحَّحه، علي محمَّد الضباع، دار الكتب العلميَّة.
32. اليمن هي الأصل، فرج الله صالح ديب، ط1، 1988